

الفقه الإسلامي - موضوعات متفرقة - الدرس ١٤ : آداب المتعلم وصفاته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٥-٠١-١٣

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

## آداب المتعلم :

### ١ - تطهير القلب :

درسنا اليوم في عرض وشرح بعض الفصول المختارة من إحياء علوم الدين ، ونحن في باب العلم ، تحدثنا عن فضيلة العلم ، وعن فضل العلم ، وعن فضل التعلم ، وعن فضل التعليم في الدروس الثلاثة السابقة . وفي الدرس الماضي تحدثنا عن آداب المتعلم ، وكان أول هذه الآداب تطهير القلب .

والأدب الثاني ، وقبل أن ننتقل إلى الأدب الثاني من آداب المتعلم يقول الغزالي : " إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول - أي في فروع الفقه وفي أصوله - وعدوا من جملة الفحول ، وأخلاقهم نذيمة لم يتطهروا منها ، فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم ، وعرفت علم الآخرة ، استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً ، وأما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى ، لقد سبقت إلى هذا إشارة ، وسيأتيك فيه مزيدٌ وبيانٌ ، وإيضاحٌ إن شاء الله تعالى " هذا رأيٌ صائب ، لو أن الإنسان تعمق في الأصول والفروع ، وبرز فيها يعد عند الناس من جملة الفحول ، ولم يطهر قلبه من الأخلاق الذميمة ؛ من الحسد ، والعجب ، والكبر ، والاستعلاء ، وتضخم الذات ، إن هذا الذي حصل تلك الفروع ، وهاتيك الأصول ، وبرع فيها وتعمق ، ووصل إلى أدق الجزئيات ، وحفظ ، واستعلى ، ولم ينظر إلى قلبه ليطهره ، إن هذا لا ينفعه شيء في الآخرة ، كما لو أن إنساناً اختص في اختصاصٍ معينٍ وبرع فيه ، اختص في الطب مثلاً ، في الحقوق ، في الآداب ، وصار له مؤلفات كبيرة جداً ، وصار اسمه شائعاً على الألسن ، ولم يطهر قلبه ، ولم يعرف ربه ، فإن هذا كله لا يجديه شيئاً .

إذاً هذا العلم الشريف يحتاج إلى تطهير قلب حتى يغدو شريفاً .

## ٢ - أن يقلل طالب العلم علاقته من الاشتغال بالدنيا :

الوظيفة الثانية : يقول الإمام الغزالي : " أن يقلل طالب العلم علاقته من الاشتغال بالدنيا " العارفون بالله لهم عبارات ثابتة : " العلاقات عوائق " . أي إنسان لا يوجد عنده وقت ، داخل في خمسين مشروعاً ، وعنده خمس أو ست شركات ، ومشغول من الصباح إلى المساء لو كان هذا الإنسان طبيباً ، لو كان فيه خير ، لو كان عنده استعداد ، لكن لا يوجد لديه وقت . الآن إذا إنسان أراد أن يصبح طبيباً غير معقول أن يكون موظفاً ، إذا كان موظفاً دوانه من الساعة الثامنة إلى الساعة الثانية والنصف ، فيصل إلى البيت الساعة الثالثة والنصف منته ، يريد أن يأكل للرابعة والنصف ، يرتاح ساعتين ، انتهى النهار ، لو عنده رغبة جامحة أن يكون طبيباً ، هذه تحتاج إلى وقت ، و إلى أن يكون متقفاً ثقافة عالية . فما لم يكن هناك وقت فراغ كافٍ لطلب العلم فالأمر مستحيل ، إذاً نحتاج إلى وقت فراغ .

وعندما يقتطع الإنسان من أثنى أوقاته وقتاً ليتعرف في هذا الوقت إلى الله عز وجل لم يضع عليه شيء في الدنيا ، هنا البطولة ، هنا يختلف المؤمن بالله عن المعتقد ، المعتقد لا تسخو نفسه أن يضيع هذا الوقت في طلب العلم ، المعتقد لا تسخو نفسه أن يمضي ساعتين في أيام المواسم ، يقول لك : بيع مثل النار ، أنا الآن أحتاج لساعة كي أصل ، والدرس ساعة ، وساعة لأرجع ، أكون بعت بخمسة آلاف ليرة في هذا الوقت . المعتقد لا تسخو نفسه أن يضيع وقتاً من أوقاته في طلب العلم ، لكن المؤمن إيماناً صحيحاً يرى أن العبد إذا ضيع من وقته ، أو إذا استهلك من وقته وقتاً لمعرفة الله عز وجل ، فالله سبحانه وتعالى لا يبد من أن يعطيه الدنيا قبل الآخرة :

(( مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ ))

[ الترمذي عن أبي سعيد ]

صاحب محل تجاري ، وفي منطقة حساسة ، وعليه إقبال شديد ، الظاهر أن صديقاً له قال له : ألا تحج يا رجل ؟ قال له : والله لا أستطيع أن أحج ، إذا حجبت سيذهب كل زبائني ، لا أستطيع أن أغلق أربعين يوماً ، بلغني أن هذا الإنسان أصابه مرض عضال ألزمه الفراش أربعة أشهر في البيت ، لهذه الكلمة التي قالها ، لا تستطيع أن تحج لكي لا يخف ذلك؟ أربعة أشهر ابتلاه الله بمرض وهو يعلم أن فيه خيراً لعله يصحو . لذلك العلاقات عوائق .

أول شيء ، طبعاً هذا الأدب له شطرين ، أول شطر يحتاج إلى وقت فراغ ، الشطر الثاني يحتاج إلى صفاء نفسي يعينك على فهم الحق ، لو إنسان مخاطر مخاطر كثيرة في أعماله الشخصية ، ودائماً تحت ضغط أو قلق معين ، هذا القلق المستمر ، وهذا الخوف ، وهذه المخاطر لا تسمح له أن يستوعب العلم ، ولا تسمح له أن يتمثل العلم ، ولا تسمح له أن يتعمق في العلم .

الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يقول : " والله لو كُفِّت شراء بصلة ما تعلمت مسألة " . القصة أنه عندما توقع أنه يوجد إله رزاق ، وأنت الآن ستلتفت لمعرفة من أجل أن تنجو من عذابه يوم القيامة ، من أجل أن تسكن في جنة عرضها السموات والأرض ، إذا كنت هكذا تفعل ، فإن الله سبحانه وتعالى سيرزقك أضعاف ما يرزق هذا الذي انقطع إلى الدنيا ، هذه البطولة ، هذا لا يعرفه إلا المؤمن ، أي أنه لا يضيع عليك شيء ، اجعل هذا الكلام في ذهنك :

(( مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ ))

[ الترمذي عن أبي سعيد ]

أي إذا أنت استهلكت ساعة زمان لمعرفة الله ، يمكن أن يوفر الله عليك عشرات الساعات ، يمكن أن يُعطَّلَ شيء بألة من آلات عملك تكلفك ثمانين ساعة ، لا يوجد من قطعها تذهب إلى بيروت ، تذهب إلى الأردن ، تذهب إلى هنا وهناك ولا يتجدد ، يذهب وقتك ، وجهدك ، وأموالك ، وتستهلك زمناً طويلاً ، فلو أنت بذلت من وقتك الثمين وقتاً لمعرفة الله عز وجل ، لا يضيع عليك شيء .

حتى أن بعض الفقهاء قال : " حضور مجالس العلم زكاة للوقت " . إذا إنسان ابنه شرب دواء لا يأخذه إلا الكبار ، أخذه على مشفى الأطفال ، يحتاج إلى خمس أو ست ساعات مرافقة معه ، يقول لك : من الساعة العاشرة إلى الساعة الثانية مساءً حتى انتهينا ، غسل معدة وما شاكل ذلك ، خمس ساعات ، أي أن الله عز وجل قادر بكل ثانية أن يُذهب لك مئة ساعة من وقتك ، مع الألم ، والانزعاج ، ودفع المال ، والترجي ، وبذل ماء الوجه ، فعندما يقتطع الإنسان من وقته الثمين وقتاً لمعرفة الله عز وجل . .

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

[ سورة الطور : ٤٨ ]

أنت الآن بأعيننا ، فإنك بحفظنا وتوفيقتنا . .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

[ سورة هود : ٨٨ ]

بهذا الموضوع القصص أكثر من أن تُحصى ، إذاً العلائق عوائق ، معنى العلائق عوائق أي تحتاج ..

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

[ سورة هود : ٨٨ ]

إلى وقت فراغ ، وتحتاج إلى صفاء ، الاقتصاد في المعيشة خيراً من بعض التجارة ، الكلام دقيق جداً ، لم يقل : خيراً من التجارة بل خيراً من بعض التجارة ، أي أن التجارة فيها قلق شديد ، فيها خوف ، فيها مخاطر ، والله إذا ضغط الإنسان مصروفه بحيث لا يضطر إلى هذه المخاطر ،

وصار عنده صفاء ، فإذا قرأت قرآناً صباحاً ، واستوعبت على الله عزّ وجلّ كلامه ، بسبب أنك صافي النفس ، والله هذا الصفاء لا يقدر بثمن ، كله ماض . .

(( وَهَلْ لَكَ يَا بَنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ))

[مسلم عن مسلم بن الحجاج]

وما سوى ذلك ليس لك ، الذي لك المستهلكات ، أما الأرصدة فليست لك ، المستهلكات لك واستهلكتها ، والأرصدة ليست لك لكنك سوف تحاسب كيف جمعتها ؟ وكيف أنفقتها ؟ فالمستهلكات هي لك وهي مستهلكات ، حديثٌ دقيقٌ جداً :

(( وَهَلْ لَكَ يَا بَنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ))

[مسلم عن مسلم بن الحجاج]

### ٣ - ألا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم :

الشيء الثالث ، الأدب الثالث من آداب طالب العلم ألا يتكبر على العلم ، ولا يتأمر على المعلم ، بل يُلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل . أحياناً يقول لك أحدهم : الموضوع الفلاني ما قولك فيه ؟ هذا قلبي فيه . فيقول لك : قالوا غير ذلك . أنت اعتمد على واحد ، أنت امنح ثقتك لإنسان ، إما أن تمنحه ثقتك أو لا تسأله ، لا أريد أن أسألك وأقول لك : كلامك غير صحيح . هذا ليس من الأدب في شيء ، أنت اسأل واسمع الجواب ، إذا أعجبك طبقه ، لم يعجبك اتركه ، لا يوجد إلزام ، العالم لن يتبعك إلى البيت ويقول لك : ماذا عملت بكلامي؟ أنت اسمع سألته سؤالاً قال لك : هذه حرام ، فتقول : هذه أفتوا فيها . ما دام أفتوا فيها ، طبقها على ذمتهم .

قال لي أحدهم : هذه صار فيها فتوى — بالمئة خمسة الربا فيها فتوى — قلت له : لا بأس . قال : هذه فيها فتوى . قلت له : لا بأس ما دام فيها فتوى ، ولكن أنا خائف يوم القيامة ألا تجد مفتيك الذي أفتاك ، هذه أصعب شيء ، يمكن هذا الذي قال لي : بالمئة خمسة لا تجده ، هذه صعبة جداً إذا اعتمدت عليه ، ووضعته بذمته وبرقبته ، وجئت إلى الحساب ، أين هذا ؟ أنا قلت لك يا عبدي أنه بالمئة خمسة مسموح فيها ؟ يا رب هناك إنسان وهو فلان الفلاني سألناه وقتها وقال : لا بأس . أين هو؟ أحضروه . ما وجدته ، ماذا ستفعل في نفسك ؟ لذلك النبي الكريم قال :

(( اسْتَفْتِ قَلْبِكَ وَاسْتَفْتِ . . . وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ ))

[أحمد عن أيوب بن عبد الله]

الله عزّ وجلّ فرز لك مفتياً خاصاً ، خاص لك هو الضمير ، الإثم لا ترتاح إليه والبر تطمئن نفسك إليه ، لمجرد أنك تسأل فأنت قلق ، إذاً هذا الذي تفعله ليس صواباً ، من يسأل إذا واحد شرب كأس ماء ؟ أخي حرام ؟ لا ، من في الأرض يسأل عن شرب الماء أحراماً هو أم حلال ؟ هذا بديهياً ، والطعام كذلك ، والزواج كذلك ، وشراء منزل كذلك ، وشراء فرش للنوم كذلك ، وشراء أشياء أساسية كذلك .

لكن هناك شبهات ، بعضهم يقول لك : هذه حلال ، هذه صورة وليست حقيقة ، وهذا صدى وليس بصوت . وبعضهم يقول لك : حرام ، هذا يثير الفتن ، يحرك المشاعر السفلى في الإنسان ، يسيء العلاقة بين الزوجين ، يوعي ، أو يكسب الوعي المبكر للأطفال ، يوعي في موضوعات هم بعيدون عنها بعداً كبيراً قبل الأوان بكثير ، هذا يسبب انحرافات شخصية عند الشباب والشابات ، يقول لك : هذا صورة ، وهذا صدى . .

(( اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ . . . وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ ))

[ أحمد عن أيوب بن عبد الله ]

فالمشكلة أن طالب الفتوى إما أن يصر على جواب معين ، هذا يجب ألا يستفتي أحداً ، لأنه إذا جاءت الفتوى كما يريد رحب بها ، فإن جاءت على خلاف ما يريد رفضها واتهم الذي أعطاه إياها بالجهل ، مثل هذا المصير على شهوة معينة لا ينبغي أن يسأل ، لكنك إذا سألت يجب أن توطن نفسك على أن تستجيب للجواب ولو عاكس شهواتك .

فقال الغزالي : " ألا يتكبر على العلم ، ولا يتأمر على المعلم ؛ بل يلقي إليه زمام أمره بالكليّة في كل التفاصيل ، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق" أحياناً يأتي مريض مثقف ثقافة طبية نوعاً ما وليس له ثقة بالطبيب ، يتعبه كثيراً ماذا وصفت لي يا دكتور ؟ يقول له : حب مسكن . هل هذا الحب له مضاعفات ؟ لا ليس له مضاعفات . أنا قرأت أن له مضاعفات ، يقول له : لا بأس لا تأخذه إذا . معي وجع رأس كثير ، يقول له : حيرتني نقول لك : خذ هذا الحب تقول : له مضاعفات ، اترك الحب تقول : رأسي يوجعني . هذا المريض المثقف ثقافة وسطاً يتعب الأطباء كثيراً ، أما إذا كان المريض جاهلاً مع طبيب حاذق جداً سلّم له القيادة ، وأعطاه أدوية مدروسة فيها علم ، وفيها خبرة ، وفيها حكمة ، واستعلمها ونجح وشفى . قال الشعبي : " صلى زيد بن ثابت على جنازة فحسبته إليه دابة ليركبها ، ف جاء ابن عباس - ابن عم رسول الله عليه الصلاة والسلام رضي الله عنه - فأخذ بركابه ، فقال زيد : خلي عنه يا بن عم رسول الله . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء . فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت "

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما

\* \* \*

التملق في طلب العلم محمود :

وقال صلى الله عليه وسلم :

## (( ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم ))

[الجامع الصغير عن معاذ]

التملق ليس من أخلاق المؤمن ، لكن التملق في طلب العلم محمود ، أي إذا تواضع الإنسان ، قدم تحية لشيخه ، هناك شخص يكون فظاً في معاملته ، فظاً في سلامه ، فظاً في نظراته ، هذا لا يليق بطالب العلم . .

## (( ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم ))

[الجامع الصغير عن معاذ]

### ٥- عدم التكبر على المعلم :

توجد فكرة ثانية لطيفة جداً ، قال : " لا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين " أي إذا لم يكن اسم هذا العالم تسيير به الركبان ، ملء الشرق والغرب ، لا يجلس في مجلسه . هذا غير معروف ، هذا متى صار عالماً ؟ متى تعلم ؟ من علمه ؟ إذا لم يكن له اسم مرموق في المشرقين والمغربيين لا يجلس في مجلسه . يقول الإمام الغزالي : " هذا الوضع يشبه إنساناً واجه سبعاً مخيفاً في الغابة ، وبحث عن مخلص ، فأصر على رجل مشهورٍ يخلصه من هذا السبع " أنت تريد أي شخص يخلصك لا يهملك شهرة هذا الدليل الذي ينجيك من هذا السبع المفترس ، طبعاً جهنم كالسبع المفترس فأني إنسان استطاع أن ينجيك من هذا العذاب فأنعم به وأكرم إن كان مشهوراً أو غير مشهور — فالحكمة ضالة المؤمن يغمتمها حيث يظفر بها ، ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائناً من كان .

### العلم حربٌ للفتى المتعالي كالسيل حربٌ للمكان العالي

\* \* \*

### ٦- من آداب مجالس العلم إلقاء السمع و الإنصات :

ربنا عز وجل قال :

﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

[سورة ق : ٣٧]

إلقاء السمع من أدب مجالس العلم ، لذلك النبي الكريم كان قدوتنا ، كان أصحابه الكرام إذا جلسوا عنده كأن على رؤوسهم الطير من السكينة والوقار ، قال :

(( تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

فمن آداب المتعلم إلقاء السمع والإنصات ، من حق الأخ على أخيه أن يستمع له .

وتراه يصغي للحديث بسمعه ويقبله ولعلّاه أدري به

\* \* \*

أحياناً الإنسان يتكلم آية يأتي آخر و يكملها عنه ، شيء بديهي أن تعرف هذه الآية ، إذا أحدهم أكمل عنه الآية ، و الآخر أكمل عنه الحديث يتشوش هذا المتكلم . النبي الكريم أثناء صلاته أحدهم قرأ خلفه ، فلما سلّم قال :

(( مَالِي أَنَا زَعُ الْقُرْآنِ ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الإنسان يبدأ بآية يكملها عنه آخر ، يبدأ بحديث يكملها عنه أحدهم ، أنا أحفظها انتبهوا لي ، أنا حافظ هذه الآية ، بهذه الحالة صار هناك اضطراب ، فلذلك حسن الإصغاء . .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾

[سورة ق : ٣٧]

أي عنده استعداد . .

﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

[سورة ق : ٣٧]

٧- على المتعلم ألا يستسلم و يطبق ليصل إلى ما يريد :

شيء آخر : قال بعضهم : " عندما ساق لنا ربنا عزّ وجل قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام ، هذه قصة دقيقة جداً "

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾

[سورة الكهف : ٦٧-٦٨]

النبي الكريم مثلاً جاءه رجل وقال : " إن أخي استطلق بطنه " . فقال له : " اسقّه عَسَلًا " . فأسقاه عَسَلًا ، وجاء له ثانية وقال له : " لقد أسقيتَه عَسَلًا فلم يزدَه إلا استطلاقاً - صار معه إسهال زيادة - قال له : " اسقّه عَسَلًا " . فجاءه ثالثاً وقال له : " لم يزدَه العسل إلا استطلاقاً . قال له :

(( صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ ))

[البخاري عن أبي سعيد]

وبعدها تبين أن الإنتانات المعوية المسيّبة للإسهالات تحتاج إلى أشربة حلوة من أجل أن تمنع هذه الإسهالات ، وبعد ذلك شفي الرجل . فالإنسان أحياناً تأتيه نصيحة لا تعجبه ، يناقش فيها ، الخبير هكذا يصنع ، الآن إذا إنسان مثلاً قال لك : أحدهم خرط المحرك وقال : تحتاج إلى روداج ألفين كيلو متر . إذا ما اقتنعت بهذا الشيء وخالفته ، وصار معك خلل بالمحرك بعد شهر أو شهرين أنت السبب ، أنت ما اقتنعت ، أنت لا تقنع ، هذا كلام خبير ، فعندما يسلم الإنسان قياده لإنسان خبير ، لو كانت النصيحة لم تعجبه ، أو ما توضحّت له ، أو ما قبلها ، أو ما استساغها ، هذا كلام خبير .

فإذا أراد إنسان أن يتعلم ضرب الآلة الكاتبة لوحده من دون معلم ، مثلاً يريد كلمة محمد أين الميم يدور عليه ثم يضربها ، بعدها الحاء ينظر هكذا لم يجدها وبعدها يجدها فيضربها ، هذا لو بقي لوحده خمس سنوات إذا كان عليه أن يكتب صفحة يحتاج إلى ساعة ونصف ، إذا ذهب إلى مكتب تعلم آلة كاتبة يلزمه أن يستعمل عشرة أصابع دفعة واحدة ، فيها صعوبة بالغة ، لكن بعد فترة تجده يكتب على الآلة الكاتبة وعينه على الورقة أي أن الصفحة في ربع ساعة تكون منتهية. فقد قالوا بالتربية : الطرق التي تقاومها النفس هي المفيدة . إنسان جلس ليقراً ، يفتح كتاباً ويقراً وهو مضجع ، أو على مقعد وثير ، أو في حديقة ، يقرأ ، يقول لك : والله اليوم أنهيت سبعين صفحة . هذه الدراسة لا قيمة لها ، وأغلب الظن أنه بعد سبعة أيام ينسى ثلاثة وثلاثين بالمائة مما قرأ ، بعد سبعة أيام أخرى لا يبقى في ذهنه مما قرأ إلا عنوان الكتاب ، مع انطباع أنه كتاب جيد أو سيئ . لكن لو قعد ووضع الكتاب على الطاولة ، وفتح دفترًا ، وقرأ فقرة لخصها على الهامش ، وضع خطوطاً ، وطرح سؤالاً ، وأجاب إجابة ، وناقش فكرة ، يمكن يقرأ بالساعة صفحتين ، لكن هذه الدراسة نهائية للامتحان مرة واحدة ، بقدر ما تبذل من جهد ترسخ المعلومات .

فأحياناً تتلقى نصيحة ممن يعلمك قد لا تروق لك ، هذا الذي كلفناه أو علمناه الضرب على الآلة الكاتبة بعشرة أصابع قد يضجر ، يتضايق ، أخي على مهلكم عليّ هل يجب أن أستخدم العشرة معاً ؟ بالعشرة معاً ، أعرف أشخاصاً خلال عشر سنوات يتحسنون ، يحتاج إلى ساعة ونصف أو ساعتين لكتابة صفحة ، لأنه يبحث على الحرف أين هو موجود ، كل حرف يبحث عنه ، فالطرق الناجحة دائماً تقاومها النفس ، والطرق غير الناجحة تستسيغها النفس ، لأن الإنسان يحب الأسهل ، يحب الأريح ، فالذي يقرأ من دون أن يلخص ، من دون أن يناقش ، مرت فكرة معقدة تركها ومشى ، تجاوزها ، بهذه القفزات المعقد بقي معقداً والصعب بقي صعباً ، والكتاب مجموعة عقد أنت لم تحلها ، لذلك أتى لهذا الطالب أن يستفيد ؟ الإنسان إن لم تعجبه الطريقة ، إن لم ترق له عليه أن يستسلم وأن يطيق ، هذا من فوائد العلم . .

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾

[ سورة الكهف : ٦٧-٦٨ ]

## ٨- عدم الإكثار من الأسئلة في غير وقتها :

بعدها الله عز وجل قال :

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

[ سورة الكهف : ٧٠ ]

فإذا كان بمصالح مثلاً . . . هذه نظفها ، لماذا ننظفها ألن نغسلها مرة ثانية ؟ تنظيفها له معنى يظهر العيوب . إذا كان هناك تلميذ يريد أن يتعلم مصلحة ، وكلما قال له معلّمه : هذه افعلها .



لماذا أفعلها ؟ . إنسان راح يشتري عبداً وجد عبداً رخيصاً جداً ، ويظهر عليه أنه ذكي استغرب كيف رخيص وذكي ؟ قال له : والله هذا هكذا . قال : معنى هذا أنه لقطة . اشتراه وجاء به إلى البيت ، قال له : أحضر لنا كأساً من الماء ، فهذا العبد تأمل فيه وقال له : أنا الآن سأقوم من مكاني ، أحضر لك كأس ماء ، أعطيها لك ، وأرجع لمكاني ، أنت قم واشرب وارجع لمكانك ، هذا هو سبب رخص هذا العبد . .

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾

[ سورة الكهف : ٦٨ ]

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

[ سورة الكهف : ٧٠ ]

وربنا عز وجل قال :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[ سورة النحل : ٤٣ ]

سيدنا علي له قول شهير ، يقول رضي الله عنه : " إن من حق العالم ألا تكثر عليه السؤال " . أحياناً يكون الدرس منتهياً ، انتهاء الدرس يعني أن هذا الإنسان الذي يتكلم بذل طاقة كبيرة ، الاستماع سهل ، أما التكلم فهو تكثيف الجهود كلها في موضوع محدد مبرمج ، شواهد ، شرح ، تحليل ، انتقال من فكرة إلى فكرة ، مع اللغة ، وسلامة اللغة ، ودقة الحرف ، دقة الحركات الأخيرة ، فعندما ينتهي الإنسان من الدرس كأنه ليمونة وعصرتها ، لم يعد فيها شيء ، تعال أسأله سؤالاً دقيقاً جداً في موضوع الرضاعة ، أو في المواريث ، هذه الطاقة استنفذها ، تحتاج إلى وقت آخر ، يكون في وقت آخر مرتاحاً تسأله ، وبعد ذلك هو يكون مهتماً بالمصلين ، ومن غير المعقول إن كان يريد أن يسلم على الناس أن تسأله سؤالاً ، يريد أن يجاوبك عن سؤالك ويكون السؤال كبير جداً ، ويترك الناس كلهم ولا يسلم عليهم ، وهم واقفون ينتظرون أن يسلم عليهم من أدهم ، ومن مودتهم ، ويعطيك جواباً لموضوعك الخاص ، هذا غير معقول فوقت السلام ليس وقت سؤال .

أنا غير منتبه للسؤال لأن الجو جو سلام ، أحدهم ينتظر ليسلم تجد الموقف في منتهى المودة ، ومنتهى المحبة ، ألا يجب أن تقابل هذا الودود بمودة مثلها ؟! هذا يأتي ويسألك سؤالاً بالمواريث ، وهذا يريد سؤالاً بالرضاعة ، تتركهم كلهم وتجاوبه .

## ٩- إجلال العالم و التأدب معه و تعظيم حرمة :

سيدنا علي يقول : " ألا تكثر عليه السؤال - طبعاً في وقت غير السؤال - ولا تعنته في الجواب - أعطاك جواباً ولم يعجبك فقلت : ولكن ليس صحيحاً أستاذ هكذا ، أحدهم أفتى بغير ذلك ، أخي لا تبالغ ، والله حيرتمونا يا أخي ، هذه - ولا تعنته في الجواب ، ولا تلح عليه إذا سكت- مثلما

تريد اعمل . لا احك لي - ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشي له سراً ، ولا تغتابن أحداً عنده ، ولا تطلبن عثرته " . الإنسان لا يغلط ؟ جل الذي لا يخطئ . . اللهم إني بشر أنسى كما ينسى البشر .

الإنسان أحياناً يكون في موقف ، له دعاء يدعو مليون مرة في حياته وينسى ، الله يُري الإنسان ضعفه . . "اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي والتجأت إلى حولك وقوتك يا ذا القوة المتين " . الإنسان ضعيف ، من قال لك إنني لا أغلط ؟ من قال لك ذلك ؟ أغلط وأغلط وأغلط لكن المؤمن مذنب تواب ، ما عنده غلط عن قصد ، هناك غلط علمي و غلط أخلاقي ، الغلط الأخلاقي هو أن تعرف الحقيقة وتحيد عنها ، هذا غلط خطير جداً ولا يفعله إلا فاسق ، أما المؤمن فيغلط ، والنبى الكريم - طبعاً التعليم لنا - قال :

**((اللهم إني بشر أنسى كما ينسى البشر ))**

[ورد في الأثر]

ممكن أن ينسى الإنسان ، ينسى فكرة ، ينسى حديثاً ، ينسى تنمة حديث ، فهنا يقول سيدنا علي : " . . . ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشي له سراً ، ولا تغتابن أحداً عنده ، ولا تطلبن عثرة له ، لكل جواب كبوة ، ولكل حسام نبوة ، ولكل عالم هفوة " . . كفى المرء نبلاً أن تعدّ معاييه . يكون المدرب مثلاً ملازم أول ، مثلاً لغة أجنبية ، أو اختصاص دقيق جداً ، مثلاً ملازم أول خبير بالألغام ، وجمعوا ضباط الفرقة كلها وتلقوا بعض التعليمات منه ، فقد يكونوا عمداء وألوية ، إذا دخل هذا المدرب النقيب يقفون له كلهم ، يا ترى هم أقل منه رتبة ؟ هم أعلى منه رتبة ؟ لكن هذا الوقوف لمعلوماته في هذا المجال ، فلذلك الاحترام ليس لذات الإنسان ولكن لمقامه الذي أقامه الله به . " ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجةٌ سبقت القوم إلى تنفيذها " . هذا هو الأدب الثالث من آداب طالب العلم .

الأدب الأول : تطهير القلب .

والأدب الثاني : التحرر من العلائق لأنها عوائق .

والأدب الثالث : عدم التكبر على من تتعلم منه .

\* \* \*

**الرجوع للينابيع الأولى الصافية في معرفة الحقائق :**

والآن إلى بعض الأحاديث الشريفة .

بسم الله الرحمن الرحيم يقول عليه الصلاة والسلام - الحديث دقيق وله إشارات دقيقة - قال :

**((تَسْمَعُونَ وَيَسْمَعُ مِنْكُمْ وَيَسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ ))**

[ أبو داود عن ابن عباس ]

وانتهى الحديث . .

## ((تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ))

[ أبو داود عن ابن عباس ]

ففي بعض تفسيرات هذا الحديث أن الحق الصرف الذي لا شائبة فيه ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، في هذه الأجيال الثلاثة ؛ جيل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وجيل التابعين ، وجيل تابعي التابعين ، وبعد ذلك قد يدخل في الإسلام ما ليس منه ، قد تأتي بعض المبالغات ، قد تأتي بعض التأويلات غير الصحيحة ، قد تأتي بعض الشطحات ، قد تفسر بعض الآيات تفسيراً ما أراد الله بها ذلك ، قد توجه بعض الأحاديث توجيهاً لم يرد بها النبي الكريم ذلك ، قد توضع بعض الأحاديث ، والنبي صلى الله عليه وسلم بريء، وقد وقد .

أي مثل نبع ماء صاف جداً ، فنبع بردي عند النبع الماء صاف يُشرب ، يجوز أن يشرب منه في سهل الزبداني ، يجوز عند وادي بردي أن تشرب ، لكن اذهب عن عين الفيحة ، عين الخضراء ، لا يُشرب ، عند دمر والهامة ، عند دمشق أصبح لونه غامقاً ، عند جوبر وحرستا وزملكا الماء صار لونه أسود ، فكلما ابتعدنا عن النبع تأتي رواسب سيئة تفسد صفاء الماء ، لذلك الآن الحل الوحيد أن ترجع للينابيع الأولى الصافية ؛ كتاب الله ، وسنة رسوله . النبي الكريم هكذا أخبرنا :

## ((تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ))

[ أبو داود عن ابن عباس ]

لذلك قال أحد الأئمة الكبار : " ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء فعلى العين والرأس ، وما جاءنا عن صحابته فعلى العين والرأس ، وما جاءنا عن سواهم فنحن رجالٌ وهم رجال ، نأخذ ومنتقي من أقوالهم ما يناسب القرآن الكريم وسنة النبي العظيم " . أما والله قرأت بكتاب أصفر هذه الفكرة ، قد تكون مخالفة لآية قرآنية ، لمجرد أنك تقرأها في الكتاب ليس هذا حجة ، فما أكثر الباطل الذي طُبِعَ في كتب ، الباطل طُبِعَ في كتب ، أشهر فكرة أن أحد الأئمة الكبار وهو الإمام الشعراني قرأ الفتوحات المكية للشيخ محي الدين رضي الله عنه فرأى أشياء لا يعقل أن تصدر عنه ، زندقة ، لذلك هناك أناس كفروا الشيخ محي الدين ، إن مقامه كبير ، وعارفٌ بالله ، وسلطان العارفين هل يقول هذا في الفتوحات ؟ وقع في شك ، إلى أن التقى بعالم من علماء مكة المكرمة ، وبثّه شكواه .

قال : فدخل هذا العالم إلى غرفته وجاعني بنسخة من الفتوحات بخط يد الشيخ محي الدين ، كتبها في قونيا بتركيا . قال : " وقابلنا ما في الفتوحات التي بيد الشعراني على الفتوحات التي بيد الإمام المكي والتي بخط الشيخ محي الدين ، فلم أجد فيها شيئاً مما أنكره قلبي فعلمت أنها دسّت عليه ودسّها الزنادقة " . قال : " ولقد دسّوا على الإمام أحمد بن حنبل جملة من العقائد الزائغة ، وضعوها تحت وسادته قبيل وفاته ، ولولا ثقتي بالإمام أحمد بن حنبل لاتهمت عقيدته " ولقد دسوا على الإمام أبي حامد الغزالي في الإحياء . ولقد دسوا على الإمام الفيروزبادي - صاحب

القاموس - قال : " ولقد دسوا عليّ وأنا حيّ أرزق كتاباً في تكفير أبي حنيفة وأنا منه بريء فلما عاتبني به - ذكر اسم الذي عاتبه - قلت : والله ما ألّفت هذا الكتاب وإذا وقع بيدك فأحرقه " هذا النص ثمين جداً ، لأن الإنسان عندما يجد شيئاً يتناقض مع كمال الله عزّ وجل ، مع كمال الأنبياء بكتاب أصفر ، لا تحملها كثيراً ، ما أكثر الدسّ على العلماء الكبار ، أما تأخذ موقفاً غير صحيح ، تكفّر العالم فهذا لا يجوز ، هذا موقف غير علمي ، لا تكفّره ولا تقبل هذه الأفكار ، لأن الذي يقول الحق لا يقول الباطل ، مستحيل ، إنسان يحمل دكتوراه بالرياضيات يقول لك : واحد وواحد ثلاثة . مستحيل ، ولو وجدتها في كتابه فهي مدسوسة عليه قولاً واحداً . هذا الموقف موقف من أرقى المواقف ، لا نقول : الشيخ محي الدين كافر كما فعل بعضهم ، كفروه جهاراً ، ولا نرضى بما قاله في الفتوحات مما يخالف الكتاب والسنة .

فمثلاً قال : " خضت البحر الذي وقف بساحله الأنبياء " . أيعقل أن يسبق الولي الأنبياء كلهم؟! الله عنده مراتب ، عنده مقامات ، الرسل في قمّتهم النبي صلى الله عليه وسلّم ، الأنبياء ، الأولياء ، أما ولي يخوض بحر وقف بساحله الأنبياء فهذا لا يكون ، هذا مدسوسٌ عليه رضي الله عنه ، إذا:

**((تَسْمَعُونَ وَيَسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ ))**

[ أبو داود عن ابن عباس ]

هؤلاء ثلاثة أجيال الحق صاف فيها ، وبعدها دخل في الإسلام ما ليس فيه .

## الحدود :

ويقول عليه الصلاة والسلام :

**(( تَعَاَفُوا الْحُدُودَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُونِي بِهِ فَمَا أَتَانِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ ))**

[النسائي عن عمرو بن شعيب]

أي إذا وقع إنسان بمخالفة وأنت سترته ، لا يوجد مانع ، أما إذا بلغت للقاضي ، والقاضي لم يقم عليه الحد ، لا عفا الله عنه إن عفا .

إذا بلغ هذا الحد القاضي فعليه أن يقيمه ، أما إذا تلافيته أنت ، وشعرت أن هذا الإنسان قد ندم ، وسترته ، فلعلّ هذا فيه خير ، ضبط أحدهم متلبساً بالسرقة في عهد عمر رضي الله عنه ، فقال : " والله يا أمير المؤمنين هذه أول مرة " . قال له : " كذبت إن الله لا يفضح من أول مرة " هو يعرف معاملة الله للعباد ، لأن الله ستر لا يفضح من أول مرة .

هناك إنسان يعمل على الصندوق فاجأه شركاؤه ، مئتان وخمس وستون ورقة لم يسجلهم ، باع بيعة ووضعها في جيبه ، قال : هذه أول مرة . لا هذه الثالثة ، إذا كانت أول مرة ، الله كريم يعطيك مهلة لتتوب ، يجعلك في مكانك ، فهذه كانت السرقة الثالثة ، فهذا الشخص الذي ضبط متلبساً بالسرقة في عهد عمر ظهر أنها ثامن مرة ، الله ستر ، فإذا إنسان وقع بمشكلة وأنت

سترتة لا يوجد مانع ، أما إذا رُفِعَتْ إلى القاضي . لا عفا الله عنه إن عفا ، إحقاقاً للحق وإقامةً للنظام العام .

### يُسْنُ لِدَاخِلِ الْمَسْجِدِ أَنْ يَتَعَاهَدَ نَعْلُهُ :

الحديث الأخير يقول عليه الصلاة والسلام :

(( تعاهدوا نعالكم عند أبواب المساجد ))

[ الجامع الصغير عن ابن عمر ]

أي أن الإنسان إذا كان بنعله طين ، يجب عليه أن يزيله قبل أن يدخل ، وإذا دخل يضع الحذاء بشكل مقبول ، أي مقابل بعضه ، ويمسكه بيده اليسرى ، هذه من السنة . .

(( تعاهدوا نعالكم عند أبواب المساجد ))

[ الجامع الصغير عن ابن عمر ]

\* \* \*

### قصة إسلام طلحة بن عبيد الله التيمي :

والآن إلى قصة من قصص الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، الصحابي هو : طلحة بن عبيد الله التيمي .

كان طلحة بن عبيد الله التيمي يمضي مع قافلة من قوافل قريش في تجارة له إلى بلاد الشام ، فلما بلغت القافلة مدينة بصرى ، هبَّ الشيوخ من تجار قريش إلى سوقها العامرة يبيعون ويشتررون ، وعلى الرغم من أن طلحة كان شاباً حدثاً - بالمناسبة قالوا : العالم شيخٌ ولو كان حدثاً ، والجاهل حدثٌ ولو كان شيخاً - ليس له مثل خبرتهم في التجارة ، إلا أنه كان يملك من حدة الذكاء ونفاذ البصيرة ما يتيح له منافستهم ، والفوز من دونهم بأفضل الصفقات ، وفيما كان طلحة يروح ويغدو في السوق التي تموج بالوافدين من كل مكان ، حدث له أمرٌ لم يكن سبباً في تغيير مجرى حياته كلها فحسب ، وإنما كان بشيراً بتغيير سير التاريخ كله ، فلنترك الكلام لطلحة بن عبيد الله ليروي لنا قصته المثيرة .

قال طلحة : " بينما نحن في سوق بصرى إذ راهبٌ ينادي في الناس : يا معشر التجار سلوا أهل هذا الموسم أفهم أحد من أهل الحرم؟ - أي مكى - وكنت قريباً منه فبادرت إليه وقلت : نعم أنا من أهل الحرم ، فقال : هل ظهر فيكم أحمد ؟ فقلت : ومن أحمد ؟ فقال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يظهر فيه وهو آخر الأنبياء ، يخرج من أرضكم الحرم ، ويهاجر إلى أرض ذات حجارة سود ، ونخيل وسباخ ، فإياك أن تسبق إليه يا فتى ، قال طلحة : فوقعته مقالته في قلبي ، فبادرت إلى مطايبي فرحلتها ، وخلفت القافلة ورائي ، ومضيت إلى مكة - هو كان في مكة - فلما بلغت قلت لأهلي : أكان من حدثٍ بعدنا في مكة ؟ أي بعد سفرهم .

قالوا : نعم ، قام محمد بن عبد الله يزعم أنه نبي ، وقد تبعه ابن أبي قحافة - أي سيدنا الصديق - قال طلحة : وكنت أعرف أبا بكر فقد كان رجلاً سهلاً ، محبباً ، موطاً الأكناف - أي لين الجانب - وكان تاجراً ذا خلق واستقامة ، وكنا نألفه ونحب مجالسه لعلمه بأخبار قريش ، وحفظه لأنسابها ، فمضيت إليه وقلت له : أحقاً ما يُقال من أن محمد بن عبد الله أظهر النبوة وأنك اتبعته ؟ قال : نعم . وجعل يقص عليّ من خبره ، ويرغيني في الدخول معه ، فأخبرته خبر الراهب ، فدهش له ، وقال : هلمّ معي إلى محمد صلى الله عليه وسلّم لنقصّ عليه خبرك ولتسمع ما يقول ، ولتدخلن في دين الله ، فقال طلحة : فمضيت معه إلى محمد صلى الله عليه وسلّم فعرض عليّ الإسلام وقرأ عليّ شيئاً من القرآن . . . . . "

أي إذا إنسان قال لصديقه : تعال احضر مجلس علم . هذا الله عزّ وجلّ ألهمه ، خير ساقه الله إليه ، لا ترد طلباً ، هذا الطلب ليس من هذا الصديق بل هو من الله عزّ وجلّ ، يمكن أن يكون حضور مجلس علم سبب لسعادتك في الدنيا والآخرة ، يمكن أن تكون استجابتك لهذا الطلب انعطافاً خطيراً في حياتك من الشقاء للنعيم ، من الضياع للهدى ، من الحزن إلى السعادة . . . . . " فشرح الله صدري إلى الإسلام ، وقصصت عليه قصة راهب بصرى ، فسرّ بها سروراً بدا على وجهه صلى الله عليه وسلّم ، ثم أعلنت بين يديه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فكنت رابع ثلاثة أسلموا على يدي أبي بكر رضي الله عنه - "

### ثبات طلحة بن عبيد الله على دينه :

وقع إسلام الفتى القرشي على أهله وذويه وقوع الصاعقة ، وكان أشدهم جزءاً لإسلامه أمّه ، فقد كانت ترجو أن يسود قومه لما يتمتع به من كريم السمائل ، وجيل الخصال ، وقد بادر إليه قومه لبيتوه عن دينه ، فوجدوه كالطود الراسخ الذي لا يتزعزع ، هذه البطولة أن تأخذ موقفاً مصيرياً كالصخر . . .

قالت له : يا بني لا أكل شيئاً حتى تكفر بمحمد - لسيدنا سعد - فقال في هدوء : يا أماه لو أن لك مئة نفس فزُهقت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد ، فكلي إذا شئت أو لا تأكلي " وبعدها أكلت ، عندما رأته متيناً انتهى الأمر ، أما إن كنت متضعضاً فالأمر مختلف .

فلما يئسوا من إقناعه بالحسنى لجؤوا إلى تعذيبه والتكيل به ، حدّث مسعود بن خراش قال : " بينما كنت أسعى بين الصفا والمروة إذا أناسٌ كثر يتبعون فتىً أوثقت يدها إلى عنقه ، وهم يهللون وراءه ، ويدفعونه في ظهره ، ويضربونه على رأسه ، وخلفه امرأةٌ عجوزٌ تسبه وتصيح به . فقلت : ما شأن هذا الفتى ؟ قالوا : هذا طلحة بن عبيد الله صبأ عن دينه وتبع غلام بني هاشم - التاريخ يعيد نفسه - فقلت : ومن هذه العجوز التي وراءه ؟ قالوا : هي الصعبة بنت الحضرمي أم الفتى " .

أي إذا إنسان عرف الله عزَّ وجلَّ ووجد معارضة في البيت ، إذا كان سيستجيب للمعارضة فهو استجاب للشقاء الأبدي ، أما البطولة فأن تبقى صلباً ، وأن تأخذ بيد الذين يعارضونك إلى الله ورسوله ، إن رأوك صلباً ، وإن رأوك قد تبدلت تبديلاً جزئياً ، وأنك تمتعت بمكارم الأخلاق أحبوك ، ثم ساروا معك .

ثم جعلت الأيام تدور ، والأحداث تتلاحق ، وطلحة بن عبيد الله يزداد مع الأيام اكتمالاً ، وبلاؤه في سبيل الله ورسوله يكبر ويتعظم ، وبره بالإسلام والمسلمين ينمو ويتسع .

### الألقاب التي لقب بها طلحة وقصة كل لقب :

أطلق عليه المسلمون لقب الشهيد الحي ، ودعاه النبي عليه الصلاة والسلام بطلحة الخير ، وطلحة الجود ، وطلحة الفياض ، ولكلٍ ومن هذه الألقاب قصة لا تقل روعةً عن أخواتها .

أما قصته في الشهيد الحي فكانت يوم أحد ، حين انهزم المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبقَ معه غير أحد عشر رجلاً من الأنصار ، وطلحة بن عبيد الله من المهاجرين ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يصعد هو ومن معه في الجبل ، فلحقت به عصبية من المشركين تريد قتله ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ . . . .))

[مسلم عن أنس بن مالك]

فقال طلحة : أنا يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : " لا مكانك " - أي الزم مكانك - فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله - قال : " نعم أنت " - فقاتل الأنصاري حتى قُتل ، ثم صعد النبي عليه الصلاة والسلام بمن معه فلحقه المشركون . .

فقال : " ألا رجلٌ لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام : " لا مكانك " - الزم مكانك - فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، قال : " نعم أنت " ثم قاتل الأنصاري حتى قُتل ، وتابع النبي صعوده فلحق به المشركون ، فلم يزل يقول مثل قوله ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله فيمنعه النبي ويأذن لرجلٍ من الأنصار حتى استشهدوا جميعاً ، ولم يبقَ معه إلا طلحة ، فلحق به المشركون فقال لطلحة : " الآن معاً "

[مسلم عن أنس بن مالك]

يظهر أنه رآه أشجع إنسان فتركه للأخير ، لأصعب موقف ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد كُسرَت رباعيته ، وشجَّ جبينه ، وجُرحت شفته ، وسال الدم على وجهه ، وأصابه الإعياء ، فجعل طلحة يكرُّ على المشركين حتى يدفعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينقلب إلى النبي فيرقى به قليلاً في الجبل ، ثم يسنده إلى الأرض ، ويكر على المشركين من جديد ، وما زال كذلك حتى صدَّهم عنه وحده ، قال أبو بكر : " كنت أنا وأبو عبيدة بن الجراح بعبيدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أقبلنا عليه نريد إسعافه قال : " اتركاني وانصرفا إلى صاحبكما " -

سيدنا طلحة - فإذا طلحة تنزف دماؤه وفيه بضعٌ وسبعون ضربةً بسيفٍ ، أو طعنةً برمح ، أو رميةً بسهمٍ ، وإذا هو قد قُطعت كفه وسقط في حفرةٍ مغشياً عليه - إنه قاوم مجموعةً بأكملها - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك : " من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ يمشي على الأرض قد قضى نحبهُ فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله " .

وكان الصديق رضوان الله عليه إذا ذُكرت أُحد يقول : " هذا يومٌ كله لطلحة " هذه قصةٌ نعت بها طلحة بالشهيد الحي .

أما تلقيه بطلحة الخير وطلحة الجود فله مئة قصةٍ وقصة ، من ذلك أن طلحة كان تاجراً واسع التجارة ، عظيم الثراء ، فجاءه ذات يومٍ مال من حضرموت ، مقداره سبعمئة ألف درهم ، فبات ليلته وجلاً جزعاً محزوناً ، فدخلت عليه زوجته أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وقالت : ما بك يا أبا محمد لعله رابك من شيء ؟ قال : لا ، ولنعم خليلة الرجل المسلم أنتِ ، ولكن تفكرت منذ الليلة وقلت : ما ظن رجلٍ بربه إذا كان ينام وهذا المال في بيته ؟ قالت : أين أنت من المحتاجين من قومك وأخلائك ؟ فإذا أصبحت فقسّمه بينهم فقال : رحمك الله إنك موفقةٌ بنت موفّق .

الآن في هذه الأيام إذا كان الزوج يريد أن يدفع صدقة تقيم زوجته قيامته : نحن أولى أولادك أولى بهذا المال ، الناس لهم الله . .

قالت له : امض لما أردت . فقال لها : إنك موفقةٌ بنت موفّق ، ولما أصبح جعل المال في صررٍ وجفانٍ وقسّمه بين فقراء المهاجرين والأنصار . وروي أيضاً أن رجلاً جاء إلى طلحة بن عبيد الله يطلب رده ، وذكر له رحماً تربطه به ، فقال طلحة : " هذه رحمٌ ما ذكرها لي أحدٌ من قبل - قرابة جديدة ما سمعت بها - وإن لي أرضاً دفع لي فيها عثمان بن عفان ثلاثمئة ألف ، فإن شئت خذها ، وإن شئت بعثها لك بثلاثمئة ألف وأعطيتك الثمن ؟ فقال الرجل : بل آخذ ثمنها . فأعطاه إياها .

هنيئاً لطلحة الخير والجود هذا اللقب الذي خلعه عليه النبي عليه الصلاة والسلام .

النبي الكريم كان قدوة ، واد من غنم مرّ به رجل من زعماء القبائل قال له : " يا محمد لمن هذا الوادي ؟ " قال له : " هو لك " ، قال : " أتهدأ بي ؟ " قال : " هو لك " ، فقال : " أشهد أنك رسول الله تعطي عطاء من لا يخشى الفقر " . النبي الكريم قال :

**(( ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ))**

[ الترمذي عن أبي كبشة الأماري ]

الله الغني ، والله الكريم ، هؤلاء الذين فتحوا العالم كانت هذه أخلاقهم ، هذه شجاعتهم ، وهذا كرمهم ، وهذه استقامتهم ، وتلك محبتهم لنبيهم .

## والحمد لله رب العالمين